- الرسالة العرشية
- الرمال المتحركة
- فيصل الملك والمملكة
- الدولة السعودية

الرسالة

الرسالة العرشية .. هكذا درجنا نسميها بهذا الاسم كلما جرى ذكر لها ، وما أكثر ماذكرناها .. اعجابا بها واذاعة لها ، واستدلالا بما فيهـا .

وقد يسأل قاريء لماذا احتفل بنشرها في مجلة الدارة بينما هـي مطبوعة ، ثم لعله يزيد السؤال عن علاقتي بها ، وحماستي لها ..

سؤال قائم لابد من الاجابة عليه يتم توضيحه لهذا السائل عـلى الصورة الآتية :

أولا : ان علاقتي بشيخ الاسلام ناصر السنة معتمدنا في عقيدة السلف جاءت مصادفة، كنت وأنا تلميذ بالمدرسة الراقية ، وفي أواخر عهد الاشراف .. نتلقى دروسا خاصة في الحساب والجبر .. ليلا ـ تارة على فانوس ، وفي بعض الليالى على ضوء القمر ـ يدرسنا أستاذنا السيد حسين طه ومعي المحمدون الثلاثة ـ تكملة المحمدين الاربعة ـ زملائي محمد سالم العجيلي، محمد اياس توفيق ـ يرحمه الله ، محمد نيازي ، محمد حسين زيدان ، حتى اذا وصلنا الى دراسة اللوغاريتمات .. جاءنا الصديق الزميل محمد نيـازي بمجموعة مجلدة كأنها كتاب واحد فيها جداول اللوغاريتمـات وحساب المثلثات باللغة التركية ـ تأليف محمود شوكت باشـا

• محمد حسين زيدان

العوثتية

بطل الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد والاخ الاكبر لحكمت سليمان رئيس الوزراء العراقي والقائم بمساعدة انقلاب بكر صدقي ..

لم تكن لدينا الا هذه النسخة يحجزها الاخ محمد نيازي لديه ، ويعجزنا أن نجدول منها هذه الجداول .. فذهبت الى سوق الحراج عند باعة الكتب القديمة أسأل عن هذه الجداول ، وفي حسابي الا أجدها بالعربية ، وانما المراد أن أجد نسخة ثانية من هذه النسخة بالتركية ، وبينما أخذت اقلب في الكتب وجدت رسالة من تاليف شيخ الاسلام ـ هي رسالته في الرد على النصرانية ـ كشاب لايهمه أن يعرف شيئا عن مؤلفها ـ وانما همه وهو طالب مسجدي أن يأخذ هذا الكتاب .

أخذته وبدأت أقرأه .. فحبب الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ، وعندي ركائز من السلفية وكراهية مايشوب هذه العقيده ـ ركزها في نفسي أستاذي البار بي السيد محمد صقر ، تلميذ الشيخ العزيز ابن الوزير أستاذه او استاذ عبد الحميد بن باديس وأستاذ محمد البشير الابراهيمي والطيب العقبي .. ومن اليهم من هؤلاء الذين أصبحوا أعلاما في ترسيخ الجهاد وعقيدة السلف .

من يومها بدات أقرأ للشيخ ٠

ثانيا : وفي عصر يوم من عام ١٣٤٧ هـ وأنا جالس في المسجد النبوي أذاكر درسا في النحو في قطر الندى وأستعد الى الدرس في الفقه على يد أستاذي السيد محمد صقر في حلقته في المسجد النبوي ٠

وقف على رأسي الصديق الشيخ محمود شويل ، وكـان في عنفوانه ـ حماسة لعقيدة السلف ـ سلم علي وقال : لقد وصلت الرسالة العرشية لشيخ الاسلام ابن تيمية وأحب أن نقرأها سويا فشكرته على هذا البر ، وأخذت الامر على أنه يريد أن يرسخ في نفسي عقيدة السلف ، وأكبرت أن يكون قد أغلق عليه شيء من هذه المصطلحات الفلكية ، وبدأنا نقرأ كل ليلة حتى أتممناها في عدة ليال بعد صـلاة العشـاء في المسـجد النبوي ، فوقفت عند شرحه لاستدارة الافلاك ، ومسيرة الشمس حتى وصلنا الى تفسير ابن عباس لقوله تعالى : (كل في فلك يسبحون) قال ابن عباس في فلكة كفلكة المغزل ـ أي الخشبة المستديرة على المغزل فقلت للشيخ الله أكبر ٠٠ لقد سبق ابن عباس رضي الله تعالى عنه، العالم الايطالى غاليلو ـ فهو يقول بقول ابن عباس ، قال جاليليو ذلك أول مرة في العلم الغربي ـ فانكرته عليه الكنائس ـ فغاليليو يقـول : ان الافلاك (اهليلجية) ـ أي كل فلكة كعجبة الاهليلج ـ أي أنهـا مستديرة كروية ٠

خفي قول ابن عباس على العالم وأشهرت الحرب على جاليليو بسبب ماقاله من هذا العلم ـ ثم قلت للشيخ محمود ـ ان شيخ الاسلام قد سبق انشتاين ، فهناك حين نقرأ شيخ الاسلام في هذه الرسالة ـ نجد ظلالا ومفاهيم قد سبق بها شيخ الاسلام ـ أنشتـاين في قوله : (هذا الكون المحدب) ٠

وأتممنا الرسالة ، ولقيت بعض الاشياخ منهم من ينكـر

كروية الارض عن اعتقاد لديه ، ومنهم كعالم مصري يعرف ذلك ثم يتنكر عليه ـ تجديفا وترضية ـ لأن في حسبانه أن هذا التنكر يرضي بعض مشايخنا ، وكنت أقيم الحجة عليهم وعليه •• رسالة شيخ الاسلام •

ثالثا : ان طبع هذه الرسالة كانت حصافة ذكية ودفعة قوية ـ فعلها الملك البطل المرحوم الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ دفع بها الى السيد رشيد رضا فطبعت ـ فحددت الوضع واقنعت الكثيرين كأنما جلالته يرحمه الله قد أراد أن يزيل كثيرا من العقابيل بهذه الرسالة •

رابعا : من هنا حفلت بهذه الرسالة وما كنت حريصا على نشرها بالمجلة لو أني وجدتها في يد القارىء ، لقد تعبت في العثور عليها ـ ليست من مقتنيات الداره ، وقد عثرنا عليها حين جلب لنا صورة منها الاستاذ أحمد مرسي أمين المكتبة والوثائق بدارة الملك عبد العزيز ـ فأخذناها وحرصت على نشرها •

خامسا : وقد زاد الامر وضوحا ما حققه تلميذ شيخ الاسلام الحفيظ على مذهبه ، الامام ابن قيم الجوزية ، حيث صرح بكروية الارض كما جاء ذكره في تعليق الاستاذ محمد خضر المنشور بعد ، كأنما هو قد فهم هذه الرسالة العرشية ، فجاء بالدليل الذي برهن به ابن حزم على كروية الارض ••

ان ابن القيم استدل بقوله تعالى : « يكور الليل على النهار » وهو دليل ابن حزم ، علي الشأن ، لم يفته العرفان ، قال ابن حزم: ولا أدري كيف يكون ظل الشيء مثله أو مثليه اذا لم تكن الارض كروية ، كأنما هو قد أدرك أن انبساط الارض يجعل الظل على حال واحد ، أو هو قد أدرك أن الانبساط لايتناسب مع الدوران ، وانما هي الارض ككل الافلاك مستديرة ، كما هو شرح شيخ الاسلام •

سادسا : وفي حوار مع شيخي وأستاذي بقية الناس ، يرحمه الله الشيخ محمد العلي التركي ، وقد كان ينكر كروية الارض ، قلت لـه حين اشتد الحوار بيني وبينه في زورته الى المدينة في آخر عهـد الاشراف : اني أريد أن أسألك اذا مات اثنان متوارثان في وقت واحد ، أحدهما مات في الشرق والآخر في الغرب ، من منهما يرث الآخر ، فأجاب كفقيه ، بكل السرعة : ان الغربي يرث الشرقي ،

فقلت : ألا يكون هذا دليلا قاطعا على كروية الارض ، فلم يغضب الشيخ وانتهى الحوار بيننا ..

سابعا : ان هذا البحث ، لبرهان واضـح على مكانة البحث والعلـم عند أسلافنا ، فعلى قلة الوسائل وندرة النشر والكتـابة بالقلم دون الطبع ، والبعد بين المسافات ، قد تفرغوا للدرس وشبعـوا من المعرفة ، وصدعوا بما يفتقدون مما هو دليل على عبقريتهـم ، واخلاصهم ، وسعة علمهم ـ عالم في أقصى المشرق لايفوته الكتاب يأتيه من أقصى المغرب ، وعالم في المغرب لايفوته كتاب عالـم من المشرق ، انها احدى الاعاجيب ، أعاجيب مسيرتنا الاسلامية أنارت الطريق فلم يتعثر بأسلافنا طريق ..

ثامنا : ولاأريد أن أنسى حوارا مع الصديق الاستاذ الوزير أحمد زكي يماني في باحة وزارة المالية بمكة أيام كان موظفا بها بعد تخرجه من الجامعة .

فقد حدثني طويـلا عن نية لديه يريد أن يخرج كتابا عـن شيـخ الاسلام ابن تيمية ولعله قد أشار الى أنه يوالي دراسته لهذا الامام ، وحبيب الى نفسه أن أكون في موقف المعين له .

تاسعا : وهناك مواقف لي مع شيخ الاسلام .. فحين نشر الاستاذ طاهر الطناحي في مجلة الهلال مقالا يتهم فيهشيخ الاسلام بالتجسيد جريا

وراء ما كتبه ابن بطوطه وما تناقلته الالسنة من حملات خصومه عليــه ٠

فكتبت ردا عليه في جريدة البلاد كان موضع الثناء من بعض السلفيين حيث أرسل الى الشيخ عبد الرحمن مظهر كتابا يشكرني فيه ويحثني على التمسك بشيخ الاسلام ٠

عاشرا : واكثر من مرة كتبت هذه الفقرة ٠٠

(اني لأعجب من سلوكنا مع شيخ الاسلام ابن تيميــة ٠٠ نتخذه اماما معتمدا في العقيدة ونتركه اماما ٠٠ فلا ناخذه عــن اجتهاده وتخريجاته الصحيحة ٠٠ لايفوتها الدليل الحق في الفقه بينما قد أخذ بها الذين لايعتمدون هذا الامام حجة في العقيدة)

ومن ولعي بشيخ الاســـلام ٠٠ وجدتني أتابع بعض مواقفي وماأكثرها ٠٠ انها مواقف الجهاد والنصح ، ومن هذه المواقف مانشرتـه من قبل حتى اذا جاءت المناسبة بالنسبة لبعض الاحداث في لبنان ـ نشرت هذا الموقف في مجلة اليمامة العدد ٣٨٧ الصــادر يوم ١٣٩٦/٢/٧ ﻫ وأنقله نصا :

والحديث ذو شجون ٠٠ أو هو الشيء بالشيء يذكر ٠ ذلـك أن الواقع في هذه الايام ٠٠ ذكرني بموقف لشيخ الاسلام ابن تيمية ٠٠ فحين بطش التتار بأرض الشام كان شيخ الاسلام بطلا على صورتين ٠٠ حمل السيف يحارب في صف المسلمين ٠٠ وحمل بلسانه يصون المسلمين من أهل الشام قاطبة من الخوف ٠٠ يشجعهم حين خاض المعركة ويثبتهم بالدعوة الى الجهاد ٠٠ حتى اذا سكنت النار تحت الرماد عرف أن لدى التتــار أسرى مسلمين وذميين ٠٠ يهود ونصارى ٠٠ فذهب ـ يرحمه اللـه ـ بقوة الشيخ المسلم ، سار على الطريق الى سلطان التتار يطلب اطـلاق الاسرى ٠٠ فقال السلطان التتري لشيخ الاسلام : لك عندي قبــول الشفاعة في أسارى المسلمين ، أما غيرهم من اليهود والنصارى فلا يهمـك أمرهم ٠٠ لهذا لاأطلقهم ٠! فانتفض الشيخ بعزمة المسلم من تشريع

دينه أن الذمي المحوط بذمة الاسلام له ما لنا وعليه ما علينا •• فقال : اما أن تطلق أسرانا جميعا مسلمهم وذميهم والا فليبقوا كلهم في أسرك ، وعرف سلطان التتار قيمة الشيخ من التمسك بقيم دينه فاطلق كل الاسرى مسلمهم وذميهم ! •

هكذا الاسلام •• يحمي أهله •• ويحمي كل من دخل في ذمته •• وهكذا الشيخ سار على الطريق فلم ينغلق في وجهه الطريق ••

هذه القصة قرأتها وحفظتها من كتاب اسمه « أشهر مشاهير الاسلام » الفه من كان سيد دمشق من البيت العريق الاستاذ الجليل رفيق بك العظم ••

وشيخ الاسلام لم يأت بدعة•• وساضرب أمثلة لم يشذ عنها •

ففي الحديث الصحيح أن رسول الله المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كان جالسا مع نخبة من أصحابه •• وكل أصحابه نخبة •• فمرت جنازة فقام واقفا عليه الصلاة والسلام •• حرمة من فضائل أخلاقه •• فقال بعض أصحابه انها جنازة يهودي •• فقال عليه الصلاة والسلام (•• أوليست نفسا ••؟!) •• ومثل آخر •• فحين قتل عبيد الله بن عمر ذميين هما الهرمزان المجوسي •• وجفينة النصراني أخذا بثار أبيه عمر لأنهما اتهما بتدبير المؤامرة على قتل عمر مع أبي لؤلؤة •• فافتى الامام علي كرم الله وجهه بقتل عبيد الله ابن عمر قصاصا لأنه قتل ذميين •• وكاد الخليفة عثمان أن ينفذ الحكم لولا أن عمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعا أشار على عثمان بألا يدخل الحزن على آل عمر مرتين••! فاخذ عثمان برأي عمرو وترك فتوى علي •• فالحق التشريعي في جانب علي •• والرحمة المسلمة في جانب عثمان ••

هذه هي الاسباب وتلك هي العلاقة •

أما ما أريده بعد ذلك فهم العلماء المختصون في علم الجغرافيا والفلك ، أدعوهم أن يدرسوها ليوافينا من أعجبه هذا العلم بما يتيسر لديه من بحث يدعم على أساس النظريات الحديثة ما أرسله شيخ الاسلام في هذه الرسالة •

والله من وراء القصد •• وهو ولي التوفيق •

محمد حسين زيدان

الرسالة العرشية

محمد خضر محمد خضر

كان من اثر ظهور انواع من المعرفة الجغرافية والفلكيه في القرن الذى عاش فيه ابن تيمية ان كثيرا من الناس استند على هذه المعرفة واعتبرها الغاية النهائيه التى يمكن للعلم أن يصل اليها دون أن يدرى أن العلم سوف يتقدم كثيرا في القرون التى تلى زمانه بحيث تصبح المعرفة السائدة في وقته بدائية وضئيلة بالنسبة لما سياتى من اكتشافات •

ولقد حاول فريق من الناس في عصر ابن تيمية -أن يوفقوا بين المعرفة الجغرافية والفلكية التى وصلت الى اسماعهم وبين ايات القران • وهذا الاتجاه في تفسير القرآن شائع بين الناس حتى عصرنا الحاضر عندما تولى فريق من المفسرين تفسير القرآن طبقا لمعطيات العلم التى ظهرت • ولسنا هنا في معرض تفسير هذا الاتجاه وانما الذي يعنينا هو أن عالما ذكيّا أوتي قدرا كبيرا من فهم روح الاسلام وتعاليمه استطاع أن يرد على الآراء الفاسدة الشائعة في زمنه حتى مع انه ليس متخصصا في علوم الفلك • وانما عرض ما وصل اليه من آراء على الكتاب والسنة ورد على من سالوه •

فلقد طرح عليه بعض الناس السؤال التالى :-

هل عرش الرحمن كروى الشكل شانه في ذلك شان سائر الافلاك والاجرام السماويه ؟

واذا كان العرش كرويا - أي أنه يحيط بالارض من جميع جهاتها • وأن الله سبحانه وتعالى من ورائه محيط فما هى الضرورة في أن يتوجه العبد الى الله بوجهه الى اعلا عند الدعاء وهو امر تدعو اليه الفطرة الانسانية ؟

ومن الواضح أن هذين السؤالين انما طرحا في ذلك العصر بعد أن تقدمت المعرفة الفلكية وصار حديث ركوية الارض والافلاك أمرا ثابتا لدى كثير من المفسرين والعلماء كالرازي وابن حزم •

فكان رد ابن تيمية قاطعا في هذا السبيل تنزيها لله تعالى وعرشه عما يصفون ووضح ذلك التنزيه في ثلاث مقامات :

اولا ـ انه ليس هنـاك دليل عقلى ولا علمي على أن عرش الرحمن كروى الشكل او انه هو الفلـك التاسـع

ثانيا ـ ان السموات والارض كلها بالنسبة لله سبحانه وتعالى من الصـغر والضـالة لا يمكن لنا أن نخضـع قدرته لمعرفتنا المحدودة •

ثالثا ـ ان القواعد العلمية تقتضي أن يتوجه الانسان الى أعلا اذا أراد الاتجاه الى ماهو خارج عن الافـلاك اى اذا اراد الاتجاه الى الله سبحانه وتعـالى •

وقد قرر ابن تيمية ايضا قاعدة مهمة من ناحية العقيدة هى أن الانسان قد يوهم نفسـه بصحة معتقد من المعتقدات ولا يزال يقيم عليه الدليل دون أن تكون هناك دلالات علمية حقيقية على صـحته وانما يرجع كل ذلك الى الوهم والخطـأ •

وهذه قاعدة دقيقة جدا تدل على فهم عميق للطبـائع الانسانية فاننا نرى عبر التـاريخ نماذج واضحة تثبت صحة تلك القاعدة • واقرب نموذج للموضوع الذى يتحدث فيه ابن تيمية هو محاكمة العالم الايطالى جاليليـو الذى قال بكروية الارض فخالف بذلك معتقدات الكنيسـة فكان نصـيبه الاتهام بالهرطقه وما جرى عليه من الحكـم •

ففى المقام الاول قـال ابن تيميـة :

١ ـ ان أهل النظر في علم الهيئة والفلسفة رأوا أن الافلاك هي تسعة أفلاك ـ وأن التاسع وهو الاطلس ـ محيط بها مستدير كاستدارتها وهو الذى يحركها الحركة المشرقية غير أن كل فلك له حركته الذاتية داخل نطاق الحركة العامة التى يبعث عليها الفلك التاسع •

٢ ـ لما رأى هؤلاء أن الفلك التاسع هو الغاية النهائيه في الكون ـ وذلك وهم منهم وظن ـ قالوا بانه ليس وراءه شيء •

ولما كان هذا الفلك هو الذي يحرك الافلاك كلها فانهم ظنوا أنه هو مبدأ الحوادث •

تلك هى الادلة التى بنى عليها اصحاب الرأى القول بان الفلك التاسع هو العرش • وقد تصدى ابن تيمية التفنيد تلك الحجج بقوله :

اولا : ان اهل الفلسفة ليس عندهم دليل يقينى بان الافلاك هى تسعة نقط • بل يجـوز أن تصدى ابن تيمية لتفنيد تلك الحجج بقوله :

ثانيا : ان القول بان الفلك التاسع هو مبدأ الحـوادث قول باطـل • لانه اذا كان لكل فلك من الافلاك حركته الخاصة التى تنشا عن مواقع الكواكب بالنسبة لبعضها البعض والحركات المختلفـة هى سبب الاشكال الحادثه • فان كل حركة منها ليست ناجمة عن الحركة الاخرى •

فحركة الفلك السابع تخصه وحده والثامن كذلك • فالمنطق يقودنا الى القول بان الفلك التاسع له حركة تخصه وحده وليست هي سبب الحوادث وانما تقع جميع هذه الحركات تبعا للحركة الكلية التي لايعرفها أهل الفلسفة يقينا ومن هنا فان القول بان الفلك التاسع هو مبدأ الحوادث كلها قول باطل •

ثالثا : أن الادلة النقلية تبين أن عرش الرحمن مغاير لسائر مخلوقات الله •

فقد قال الله سبحانه وتعالى :

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم »

وقال الله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وقال تعالى : « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وقال تعالى : « الذين يحملون العرش ومن حوله » وقال تعالى : « وهو الذى خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء »

وورد كذلك في احاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قوله : « أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء • »

وقال تعالى : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا »

وقال تعالى : « رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق »

وقال تعالى : « وهو الغفور الودود • ذو العرش المجيد • فعال لما يريد » وقال تعالى : « قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • سيقولون : لله قل افلا تتقون » •

وقال تعالى : « فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم » والمستفاد من هذه الآيات ما يلي :-

أ ـ أن للعرش حملة يحملونه اليوم ويوم القيامه •

ب ـ أن حملته من حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين •

حـ ـ أن عرش الرحمن كان على الماء •

د ـ أن عرش الرحمن مجيد ورفيع وكريم •

وبذلك ثبت لنا أن العرش مغاير لمخلوقات الله الاخرى ونحن نعرف أن قيام فلك من الافلاك بمقدرة الله تعالى كقيام سائر الافلاك لا فرق بين واحد وآخر •

وانه لو كان لواحد منها ملائكه تحمله لصار حكمة حكم سائر الافلاك ولما كان هناك مبرر لتخصيصه بالذكر ٠ لان الله سبحانه وتعالى لم يخصص سماء دون سماء ٠ وانما لا بد وأن العرش متميز عن سائر الافلاك مغاير لها ٠

وقد وردت عدة احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين أن العرش هو اثقل الاوزان وان له قوائم وانه اهتز لموت سعد بن معاذ

وحركة الفلك التاسع دائما متشابهه ٠ فلو كان هو عرش الرحمن لما توافق حديث هزة العرش مع حركة الفلك وثبت كذلك بالاحاديث الصحيحة أن العرش فوق الفردوس الذى هو وسط الجنة واعلاها ٠

وقد استدل من استدل على أن العرش مقبب ، بحديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام ٠٠٠٠ان الله على عرشه وأن عرشه على سماواته وأرضه لهكذا ـ وقال باصابعه مثل القبة ٠

ومن هنا فاننا نستدل على أن عرش الرحمن ليس فلكا من الافلاك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انه فوق الفردوس الذي هو وسط الجنة وأعلاها » ٠

ولأن القبة تستلزم استدارة من العلو ولا تستلزم استدارة من جميع الجهات الا بدليل منفصل في حين أن الفلك مستدير استدارة مطلقة لقوله تعالى : « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون »

وقوله تعالى «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون» فهذا يقتضى انها في فلك مستديرة استدارة مطلقه كما قال ابن عباس رضى الله عنه في « فلكة مثل فلكة المغزل » ٠

ثم اورد ابن تيمية في هذا المقام نقدا عاما لمناهج التفكير عند الفلاسفة فهم يستنبطون القواعد العلمية من طريق المشاهدة والتجربه ولكنهم لا يستطيعون ادراك الحكمة من وراء قيام الظواهر الكونية ذاتها ولا الغاية التى من اجلها خلقت ٠

ودلل على ذلك بمثالين أولهما أن هؤلاء يعرفون أن البخار المتصاعد ينعقد سحابا وقد وضعوا هذه القاعدة العلميه نتيجة للمشاهدة الحسية ٠ ولكنهم لا يستطيعون تعليل السبب الذى يجعل هذا السحاب ينعقد فوق بلد معين في وقت معين لينزل مطرا ينتفع به الناس ، والثانى : انهم يعلمون ان الانسان خلق من التقاء الحيوان المنوى مع البويضه في الرحم ولكنهم لا يعرفون السبب من خلق هذا الانسان على هذا الترتيب المحكم وبكل ما في الانسان من قدرات واجهزة دقيقه تعمل وفق قانون مطرد ثابت لا يعرف اسراره سوى البارى سبحانه وتعالى ٠

وخلص ابن تيمية من ذلك كله الى أن الاستنتاج الذى ذهب اليه هؤلاء من أن الفلك التاسع هو العرش استنتاج باطل لكل الحجج التي أوردها سابقا ٠

اما في المقـــام الثاني

فان ابن تيمية اراد أن يدلل على أن العرش سواء اكان الفلك التاسع او جسما محيطا بالفلك التاسع او كان فوقه من جهة الارض محيطا به او غير ذلك • فان العالم كله السفلى منه والعلـوى في غاية الصغر والضئالة بالنسبة للبارى سبحانه وتعالى •

واســتدل على ذلك بعـدد من الأيـات والاحاديث •

فقد قال الله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضـــته يوم القيــامه والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »

وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوى الله السموات يوم القيامه ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول : انا الملك اين الجبارون المتكبرون ؟ ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقــول : انا الملـك اين الجبـارون اين المتكبـرون •

وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمر حكي أن النبى صلى الله عليـه وسـلم قال : يأخذ الله سماواته وارضه بيده ويقول انا الملك ويقبض اصابعه ويبسطها • انا الملك : حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى انى اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم •

وكذلك اورد ابن تيمية عددا آخر من الاحاديث تدل على نفسي المعنى وهو أن الاكوان كلهـا في غاية الصغر والضئالة بالنسبة لله سبحانه وتعالى وقدرته وعظمته •

ثم اورد بعد ذلك رد ابن الماجشون صاحب الامام مالك على الجهميه ومن قال قولهم •

وكل تلك الحجج التي أوردها ليبين أن الله سبحانه وتعالى له من القدرة والعظمة مالا يحيط به العقـــــل البشـرى •

وسواء أكان العرش محاطا بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها أو قيل أنه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذى نحن عليه وغير ذلك • فان العرش يكون فوق المخلوقات والخالق سبحانه وتعالى فوقه • والعبد في توجهه الى الله يقصد العلو دون السفل •

اما في المقـام الثالث فان ابن تيمية اراد أن يثبت انه مهما كان من امر العـرش سـواء اكان كرويا كالافلاك محيطا بها أو كان فوقها وليس بكروي فانه يجب التوجه الى العلو عند الدعاء وذلك للاسباب الآتيــــه :ــ

١ ــ أن الاشكال الدائرية أو الكروية اعلاها هو المحيط واسفلها هو المركز • وعلى ذلك فليس للاشكال الكروية الا جهتان فقط وهما العلو والسفل •

٢ ـ ان الجهات الست توجد بالنسبة للحيوان فقط أما الافلاك فليس لها الا المركز والمحيط وان كروية الافلاك أمر ثابت قطعي لاشك وأن آيات كثيرة من القرآن تدل على ذلك ٠

منها قوله تعالى : « وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » وفسر ابن عباس هذه الآية بقوله : فلكة كفلكة المغزل ٠ والفلك في اللغة هو المستدير ٠

هذا واذا كان ابن تيمية لم يتحدث عن كروية الارض فان تلميذه ابن القيم اورد دليلين من القرآن على ذلك وهما قوله تعالى : « يكور الليل على النهار » فان التكوير هو اللف على الجسم الكروى المستدير كتكوير العمامة على الرأس ٠

وكذلك قوله تعالى : « والارض بعد ذلك دحاها » فان الدحو في اللغة دحرجة الكرة ٠

ولا تعارض بين ذلك وبين قوله تعالى : « واذا الارض سطحت ٠ لان وجه الكرة سطح لها والسطح في اللغة اعم منه في عرف الهندسة ٠

وعلى ذلك فان كل كائن على الارض اذا أراد أن يتطلع الى علو الافلاك لايمكن أن يتطلع الا الى المحيط الذى هو فوق رأسه دون أن ينظر الى السفل الذى هو المركز ٠

٤ ـ أن السؤال الذى وضعه السائل في اول الامر ورد لوهم سائله بأن نصف الفلك يكون تحت الارض وتحت ما على وجه الارض من الآدميين والبهائم٠ وهذا خطأ عظيم فلو كان الفلك تحت الارض من جهة لكان تحتها من كل جهة وهذا قلب للحقائق اذ أن الفلك هو فوق الارض مطلقا ٠
وكذلك فان وضع الانسان علىالارض مهما كان موقعه فان الفلك فوقه ولا يمكن أن يكون تحته٠

٥ ـ ان من اراد الصعود الى اعلا فان اقرب الجهات اليه هى ما يلى رأسه ٠

تلك هى خلاصة رسالة ابن تيمية وقد ورد فيها من الحقائق العلمية ما اثبتته النظريات الفلكية والرياضية من بعده وكذلك فان تنزيهه لله تعالى كان من القوة وحسن الربط بحيث أن اى عالم محدث لو اراد أن يبحث نفس الامر لما وجد خيرا من الحجج التي اوردها ابن تيمية ٠

محمد خضر محمد خضر

الباحث بدارة الملك عبد العزيز

عرش الرحمن

وما ورد فيه من الآيات والاحاديث

وكونه فوق العالم كله، ومعنى التوجه في الدعاء الى جهة العلو

وبطلان ماقيل من ان العرش هو الفلك التاسع عند علماء الهيئة اليونانية

تأليف

شيخ الاسلام ابن تيمية

قدس الله سره

طبع على نفقة صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ويليه مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام

وهي ثلاثة أقسام

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سئل ﴾ شيخنا وسيدنا شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية أعاد الله تعالى من بركته آمين : ما تقول في العرش، هل هو كري أم لا ؟ فاذا كان كريا والله من ورائه محيط بائن عنه ، فما فائدة أن العبد يتوجه الى الله حين دعائه وعبادته فيقصد العلو دون غيره ؟ فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي، ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً بطلب العلو لا يلتفت يمينه ولا يساره ، فأخبرنا عن هـذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها ، وابسطوا لنا الجواب في ذلك .

﴿ أجاب ﴾ رضي الله تعالى عنه :

الحمد لله رب العالمين ، الجواب عن هذا بثلاث مقامات :

(أحدها) ان لقائل أن يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل لا بدليل شرعي ولا دليل عقلي ، وانما ذكر طائفة من المتأخرين الذين نظروا في علم الهيئة وغيره من أجزاء الفلسفة فرأوا أن الافلاك تسعة وان التاسع ـ وهو الاطلس ـ محيط بها مستدير كاستدارتها، وهو الذي يحركها الحركة الشرقية، وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة، ثم سمعوا في أخبار الانبياء ذكر عرش الله وذكر كرسيه وذكر السموات السبع، فقالوا بطريق الظن: ان العرش هو الفلك التاسع، لاعتقادهم أن ليس وراء ذلك التاسع شيء إما مطلقاً وإما انه ليس وراءه مخلوق، ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذي يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث وزعموا أن الله تعالى يحدث فيه ما يقدره في الارض او يحدثه في النفس التي زعموا انها متعلقة به ، او في العقل الذي زعموا انه صدر عنه.

هذا الفلك، وربما سماه بعضهم الروح، وربما جعل بعضهم ذلك النفس هو اللوح المحفوظ كما جعل العقل هو العلم، وتارة يجعلون اللوح هو العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر والنفس المتعلقة به. وربما جعلوا ذلك بالنسبة إلى الحق كالدماغ بالنسبة الى الانسان يقدر فيه ما يفعله قبل أن يكون، إلى غير ذلك من المقالات التي قد شرحناها وبينا فسادها في غير هذا الموضع . ومنهم من يدعي انه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذبا فيما يدعيه ، وانما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليداً لهم او موافقة لهم على طرقهم الفاسدة ، كما فعل اصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم

وقد ينتحل المرء في نفسه ما تقلده عن غيره فيظنه كشفاً كما ينتحل النصراني التثليث الذي يعتقده ، وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كشفاً ، وانما يخيل لما اعتقده [1] وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة اذا ارتاضوا صقلت الرياضة نفوسهم فتتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كشفاً ، وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا ان ماذكروه من ان العرش هو الفلك التاسع قد يقال انه ليس لهم عليه دليل لا عقلي ولا شرعي، اما العقلي فان أئمة الفلسفة مصرحون بانه لم يقم عندهم دليل على ان الافلاك هي تسعة فقط ، بل يجوز ان تكون أكثر من ذلك ، ولكن دلتهم الحركات المختلفة والكسوفات ونحو ذلك على ماذكروه . وما لم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لايعلمون لا ثبوته ولا انتفاءه

مثال ذلك انهم علموا ان هذا الكوكب تحت هذا بان السفلي يكسف العلوي من غير عكس، فاستدلوا بذلك على انه من فلك فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة على أفلاك مختلفة ، حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كفلك التدوير وغيره،

(١) لعل أصله : يخيل اليه ما اعتقده، وان بعض النصاري يرون في المنام وفي حال تغلب الخيال عند أولى المزاج العصبي في اليقظة السيد المسيح او السيدة مريم عليهما السلام او غيرهما من الحواريين ومن دونهم ويسمعون منهم مايوافق عقائدهم كما يقع لكثير من المسلمين فيغترون بهذه الخيالات

فأما ما كان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم مايستدلون به على ثبوته فهم لايعلمون نفيه ولا اثباته بطريقه . وكذلك قول القائل ان حركة التاسع مبدأ الحوادث

خطأ وضلال على أصولهم ، فانهم يقولون ان الثامن له حركة تخصه بما فيه من الثوابت ، ولتلك الحركة قطبان غير قطبي التاسع ، وكذلك السابع والسادس ، واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات المختلفة هي سبب الاشكال الحادثة المختلفة الفلكية ، وتلك الاشكال سبب الحوادث السفلية ، كانت حركة التاسع جزء السبب كحركته ، فالاشكال الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب للكوكب في درجة واحدة ومقابلته له إذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجة وتثليثه اذا كان بينهما ثلث الفلك مائة وعشرون درجة ، وتربيعه له اذا كان بينهما ربعه تسعون درجة ، وتسديسه له إذا كان بينهما سدس الفلك ستون درجة ـ وأمثال ذلك من الاشكال ـ انما حدثت بحركات مختلفة ، وكل حركة ليست عن الاخرى ، اذ حركة الثامن التي تخصه ليست عن حركة التاسع وان كان تابعاً له في الحركة الكلية كالانسان المتحرك في السفينة الي خلاف حركتها . وكذلك حركة السابع التي تخصه ليست عن التاسع ولا عن الثامن ، وكذلك سائر الافلاك فان حركة كل واحد التي تخصه ليست عما فوقه من الافلاك ، فكيف يجوز أن يجعل مبدأ الحوادث كلها مجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه العرش ؟ كيف والفلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لا اختلاف فيه أصلا ، فكيف يكون سبباً لأمور مختلفة لا باعتبار القوابل وأسباب أخر ، ولكن هم قوم ضالون يجعلونه مع هذا ثلثمائة وستين درجة ، ويجعلون لكل درجة من الاثر ما يخالف الاخرى لا باختلاف القوابل ، كمن يجيء إلى ماء واحد فيجعل لبعض أجزائه من الاثر ما يخالف الآخر لا بحسب القوابل بل يجعل أحد جزئيه مسخناً والآخر مبرداً ، والآخر مسعداً ، والآخر مشقيا ، وهذا مما يعلمون هم وكل عاقل انه باطل وضلال ، واذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر فوق الافلاك التسعة كان يجزم [1] أن ما أخبرت به الرسل من العرش هو الفلك التاسع رجماً بالغيب وقولا بلا علم .

هذا كله على تقدير ثبوت الافلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة ، إذ في

ذلك من النزاع والاضطراب وفي أدلة ذلك ماليس هذا موضعه ، وانما نتكلم على هذا التقدير أيضاً(٢) فالافلاك في أشكالها وإحاطة بعضها ببعض من جنس واحد فنسبة السابع إلى السادس كنسبة السادس إلى الخامس . واذا كان هناك فلك تاسع فنسبته إلى الثامن كنسبة الثامن إلى السابع

وأما العرش فالاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وانه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض ، قال الله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) وقال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) فأخبر أن للعرش حملة اليوم ويوم القيامة ، وان حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين ، والمعلوم أن قيام فلك من الافلاك بقدرة الله تعالى كقيام سائر الافلاك لافرق في ذلك بين كرة وكرة ، وإن قدر أن لبعضها في نفس الأمر ملائكة تحملها فحكمه حكم نظيره

---

(١) لعل اصله : كان جزمه اوجزمهم بأن ما اخبرت الرسل الخ

(٢) يعني الشيخ (رح) أنه يبني ابطال قولهم على تقدير ثبوت الافلاك التسعة جدلا وهي غير ثابتة بدليل صحيح ، ونقول إنه قد تبين بعده بما ارتقى اليه علم الهيئة الفلكية بالآلات الحديثة المقربة للابعاد بطلان القول بالافلاك التسعة التي تخيلها اليونان وتبعهم فيها علماء العرب

قال الله تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) فذكر هنا أن الملائكة تحف من حوله ، وذكر في موضع آخر أن له حملة ، وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله ، فقال (الذين يحملون العرش ومن حوله) وأيضاً فقد أخبر ان عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض كما قال تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء)

وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والارض » وفي رواية له « كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على المـاء ، ثم خلق السموات والارض ، وكتب في الذكر كل شيء » وفي رواية لغيره صحيحة « كان الله ولم يكن شيء معه ، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء »

وثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » فهذا التقدير بعد وجود العرش وقبـل خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ، وهو سبحانه وتعالى يتمدح بانه ذوالعرش المجيد كقوله سبحانه (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا) وقوله تعـالى (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار)

وقال سبحانه (وهو الغفور الودود * ذوالعرش المجيد * فعال لما يريد) وقد قرىء المجيد بالرفع صفة لله ، وقرىء بالخفض صفة للعرش وقال تعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون) فوصف العرش بانه مجيد وأنه عظيم

وقال تعـالى (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) فوصفه بانه كريم أيضاً ، وكذلك في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب « لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم » فوصفه في الحديث بانه عظيم وكريم أيضاً

فيقول القائل المنازع : إن نسبة الفلك الاعلى إلى مادونه كنسبة الآخر إلى

مادونه ، فلو كان العرش من جنس الافلاك لكانت نسبته إلى مادونه كنسبة الآخر إلى مادونه ، وهـذا لايوجب خروجه عن الجنس وتخصيصه بالذكر كما لم يوجب ذلك تخصيص سماء دون سماء ، وإن كانت العليا بالنسبة إلى السفلى كالفلك على قول هؤلاء.

وانما امتاز عما دونه بكونه أكبر كما تمتاز السماء العليا على الدنيا بل نسبة السماء إلى الهواء ونسبة الهواء إلى الماء والارض كنسبة فلك إلى فلك . ومع هذا فلا يخص واحد من هـذه الاجناس عما يليه بالذكر ولا بوصفه بالكرم والمجد والعظمة ، وقد علم أنه ليس سبباً لذاتها ولا لحركاتها ، بل لهـا حركات تخصها فلا يجوز أن يقال إن حركته هي سبب الحوادث، بل إن كانت حركة الافلاك سبباً للحوادث فحركات غيره التي تخصه أكثر ولا يلزم من كونه محيطا بها أن يكون أعظم من مجموعها، إلا اذا كان له من الغلظ ما يقاوم ذلك ، وإلا فمن المعلوم أن الغليظ اذا كان متقاربا مجموع الداخل أعظم من المحيط بل قد يكون بقدره أضعافا ، بل الحركات المختلفة التي ليست عن حركته أكثر لكن حركته تشملها كلها

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جويرية بنت الحارث أن النبي ﷺ دخل عليهـا وكانت تسبح بالحصى إلى الضحى فقال « لقـد قلت كلمة تعدل كلمات لو وزنت بما قلتيه لوزنتهن : سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله رضى الله نفسه ، سبحان الله مداد كلماته »[1] فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الاوزان ، وهم يقولون إن الفلك التاسع لاخفيف ولا ثقيل ، بل يدل على أنه وحده أثقل مايمثل به كما ان عدد المخلوقات أكثر مايمثل به

وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال : جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه فقال: يامحمد رجل من أصحابك لطم وجهي. فقال النبي ﷺ «ادعوه» فقال « لم لطمت وجهه ؟» فقال يارسول الله إني مررت بالسوق وهو يقول: والذي اصطفى موسى على البشر ، فقلت ياخبيث وعلى محمد؟ فأخذتني غضبة فلطمته، فقال النبي ﷺ « لاتخيروا بين الانبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول

من يفيق فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقته »فهذا فيه بيان أن للعرش قوائم وجاء ذكر القائمة بلفظ الساق والافلاك متشابهة في هذا الباب

وقد أخرجا في الصحيحين عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » قال فقال رجل لجابر ان البراء يقول اهتز السرير قال: انه كان بين هذين الحيين لاوس والخزرج ضغائن. سمعت نبي الله ﷺ يقول « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » ورواه مسلم في صحيحه من حديث أنس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال- وجنازة سعد موضوعة « اهتز لها عرش الرحمن » وعندهم ان حركة الفلك التاسع دائمة متشابهة ومن تأول ذلك على ان المراد به استبشار حملة العرش وفرحهم فلا بد له من دليل على ماقال كما ذكر ابو الحسين الطبري وغيره ان سياق الحديث ولفظه ينفي هذا الاحتمال

وفي صحيح البخارى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله ان يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها » قالوا: يارسول الله، أفلا نبشر الناس بذلك؟ قال «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين

---

(١) لهذا الحديث في مسلم وكذا في السنن لفظان عن جويرية (رض) أحدهما أن النبي (ص) خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال « مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت نعم. قال النبي (ص) لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» واللفظ الآخر انه قال « سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته » وليس في الرواية انها كانت تسبح بالحصى ولعله قد ثبت عنها في رواية أخرى كما ثبت عن صفية (رض) والحديث ذكره ابو داود في باب التسبيح بالحصى ولكنه ذكر التسبيح بالحصى عن غيرها

بينهما كما بين السماء والارض . فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر انهار الجنة »

وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « يا ابا سعيد، من رضي بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً وجبت له الجنة » فعجب لها ابو سعيد فقال: أعدها علي يارسول الله ، ففعل قال « وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة، مابين كل درجتين كما بين السماء والارض » قال وما هي يارسول الله قال « الجهاد في سبيل الله » وفي صحيح البخاري ان ام الربيع بنت البراء وهي ام حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت : يارسول الله الا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر - أصابه سهم غَرْب (١) ، فان كان في الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء . قال « يا أم حارثة، انها جنان في الجنة وان ابنك أصاب الفردوس الاعلى »

«١» بفتح الراء وسكونها ، أي لا يعرف راميه

فهذا قد بين ان العرش فوق الفردوس الذي هو اوسط الجنة وأعلاها، وان الجنة مائة درجة ، مابين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها. والحديث الثاني يوافقه في وصف الدرج المائة، والثالث يوافقه في ان الفردوس أعلاها.

واذا كان العرش فوقه فلقائل ان يقول : اذا كان كذلك كان في هذا من العلو والارتفاع ما لم يعلم بالهيئة ، إذ لا يعلم بالحساب أن بين التاسع والاول كما بين السماء والارض مائة مرة ، بل عندهم أن التاسع ملاصق للثامن . فهذا قد بين أن العرش فوق الفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها . وفي حديث أبي ذر المشهور قال: قلت يارسول الله ، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال « آية الكرسي » ثم قال ياأبا ذر « ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة » والحديث له طرق وقد رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه وأحمد في المسند وغيرهما .

وقد استدل من استدل على أن العرش مقبب بالحديث الذي في سنن أبي داود

وغيره عن جبير بن مطعم قال : أتى رسول الله ﷺ اعرابي فقال : يا رسول الله ، جهدت الانفس وجاع العيال ، وهلك المال ، فدع الله لنا. فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك . فسبح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال« ويحك، أتدري ما تقول؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه. شأن الله أعظم من ذلك . إن الله على عرشه ، وان عرشه على سماواته وأرضه لهكذا ـ وقال بأصابعه مثل القبة» وفي لفظ « وان عرشه فوق سماواته ، وسماواته فوق أرضه، لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبة. وفي لفظ «وان عرشه فوق سماواته، وسماواته فوق أرضه لهكذا» وقال باصابعه مثل القبة [1] وهذا الحديث وان دل على

(١) لهذا الحديث بقية والفاظ مختلفة قال البيهقي بعد ايراده في الاسماء والصفات عن ابي داود : وهذا حديث ينفرد به محمد بن اسحاق بن يسار عن =

التقبب وكذلك قوله عن الفردوس « إنها أوسط الجنة وأعلاها »مع قوله« وان سقفها عرش الرحمن » أو« ان فوقها عرش الرحمن » والاوسط لا يكون الاعلى الا في المستدير ، فهذا لا يدل على انه فلك من الافلاك ، بل إذا قدر انه فوق الافلاك كلها أمكن هذا فيه سواء قال القائل انه محيط بالافلاك أو قال انه فوقها . وليس يحيط بها، كما أن وجه الارض فوق النصف الاعلى من الارض وان لم يكن محيطا بذلك . وقد قال اياس بن معاوية : السماء على الارض مثل القبة . ومعلوم أن الفلك مستدير مثل ذلك ، لكن لفظ القبة يستلزم استدارة من العلو لا يستلزم استدارة من جميع الجوانب إلا بدليل منفصل، ولفظ الفلك يستدل به على الاستدارة مطلقا، فقوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يقتضي أنها في فلك مستديرة مطلقا كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في فلكة مثل فلكة المغزل . وأما لفظ القبة فانه لا يعترض هذا المعنى لا بنفي ولا اثبات، لكن يدل على الاستدارة

= يعقوب بن عتبة ، وصاحبا الصحيح لم يحتجا به انما استشهد مسلم بن الحجاج بمحمد بن اسحاق في احاديث معدودة اظنهن خمسة قد رواهن غيره . وذكره البخاري في الشواهد ذكرا من غير رواية ، وكان مالك بن انس لا يرضاه ، ويحيى ابن سعيد القطان لا يروي عنه ، ويحيى بن معين يقول ليس هو بحجة ، واحمد ابن حنبل يقول يكتب عنه هذه الاحاديث - يعني المغازي ونحوها - فاذا جاء الحلال والحرام اردنا قوما هكذا - يريد اقوى منه - فاذا كان لا يحتج به في الحلال والحرام فأولى ان لا يحتج به في صفات الله سبحانه . وانما نقموا عليه في روايته عن اهل الكتاب ثم عن ضعفاء الناس وتدليسه اساميهم . فاذا روى عن ثقة وبين سماعه منه فجماعة من الائمة لم يروا به باسا . وهو انما روى هذا الحديث عن يعقوب بن عتبة وبعضهم يقول عن عتبة وعن محمد بن جبير ولم يبين سماعه منهما . واختلف عليه في لفظه كما ترى اه فجملة القول ان هذا الحديث لا يصح ولعل الشيخ اورده استيفاء للروايات النافية لاقوال اهل الهيئة

من العلو كالقبة الموضوعة على الارض ، وقد قال بعضهم ان الافلاك غير السموات لكن رد عليه غيره هذا القول بان الله تعالى قال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) فاخبر انه جعل القمر فيهن ، وقد أخبر انه في الفلك (١)

وليس هذا موضع بسط الكلام في ذلك وتحقيق الامر فيه وبيان أن ما علم بالحساب علماً صحيحاً لا ينافي ماجاء به السمع وان العلوم السمعية الصحيحه لاتنافي معقولا صحيحاً، إذ قد بسطنا الكلام على هذا وأمثاله في غير هذا الموضع، فان ذلك يحتاج اليه في هذا ونظائره مما قد اشكل على كثير من الناس حيث يرون ما يقال انه معلوم بالعقل مخالفا لما يقال انه معلوم بالسمع ، وأوجب ذلك ان كذبت كل طائفة بما لم تحط بعلمه. حتى آل الامر بقوم من أهل الكلام ان تكلموا في معارضة الفلاسفة في الافلاك بكلام ليس معهم به حجة لا من شرع ولا من عقل، وظنوا ان ذلك من نصر الشريعة وكان ماجحدوه معلوما بالادلة الشرعية ايضا

وأما المتفلسفة واتباعهم فغايتهم ان يستدلوا بما شاهدوه من الحسيات ولا يعلمون ماوراء ذلك ، مثل ان يعلموا ان البخار المتصاعد ينعقد سحابا وان السحاب إذا اصطك حدث عنه صوت به(٢) ونحو ذلك، لكن علمهم بهذا كعلمهم بان المني يصير

(١) الذي يفهمه أهل اللغة من الفلك هنا أنه مدار الكواكب وعبارة القاموس مدار النجوم قال : ومن كل شيء مستداره ومعظمه ، وهذا غير المراد من الفلك عند علماء الهيئة اليونانية فهو عندهم جسم مستدبر صلب شفاف لا يقبل الخرق والالتئام، وكل فلك من الاول الى السابع فيه كوكب من الدراري السبع يدور فيه والثامن للنجوم الثابتة كلها والتاسع أطلس ليس فيه شيء

(٢) يعنون بهذا الصوت الرعد، وهو قول باطل لم يجدوا مايعللون به صوت الرعد غيره . وأما علماء الكون في هذا العصر فقد ثبت عندهم أن البرق والرعد يحدثان من اشتمال الكهربائية بالتقاء الايجابي منها بالسلبي ، وبهذا الاشتمال يحدث تفريغ في الهواء يكون له صوت بقدره كما يحدث باطلاق المدفع وهو صوت الرعد والصواعق

في الرحم (جنينا) لكن ما الموجب للمني المتشابه الاجزاء ان يخلق منه هذه الاعضاء المختلفة والمنافع المختلفة على هذا الترتيب المحكم المتقن الذي فيه من الحكمة والرحمة مابهر الالباب وكذلك ما الموجب لان يكون الهواء أو البخار ينعقد سحابا مقدراً بقدر مخصوص في وقت مخصوص على مكان يختص به وينزل على قوم عند حاجتهم اليه فيسقيهم بقدر الحاجة لايزيد فيهلكوا ولاينقص فيعوزوا . وما الموجب لان يساق إلى الارض الجُرُز التي لاتمطر أو تمطر مطراً لايغنيها كارض مصر أو كان المطر القليل لا يكفيها والكثير يهدم ابنيتها (١) قال تعالى (او لم يروا انا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وأنفسهم افلا يبصرون)

وكذلك السحاب المتحرك وقد علم ان كل حركة فاما ان تكون قسرية وهي تابعة للقاسر، أو طبيعية ،وانما تكون إذا خرج المطبوع من مركزه فيطلب عوده اليه أو ارادته وهي الاصل، فجميع الحركات تابعة للحركة الارادية التي تصدر عن ملائكة الله تعالى التي هي المدبرات امراً والمقسمات امراً، وغير ذلك مما اخبر الله تعالى به عن الملائكة. وفي المعقول مايصدق ذلك. فالكلام في هذا وأمثاله له موضع غير هذا

والمقصود هنا ان نبين ان ما ذكر في السؤال زائل على كل تقدير فيكون الكلام في الجواب مبنيا على حجج علمية لا تقليدية ولا مسلمة، وإذا بينا حصول الجواب على كل تقدير كما سنوضحه لم يضرنا بعد ذلك ان يكون بعض التقديرات هو الواقع وان

كنا نعلم ذلك، لكن تحرير الجواب على تقدير دون تقدير واثبات ذلك فيه طول لا يحتاج اليه هنا ، فان الجواب إذا كان حاصلا على كل تقدير كان أحسن واوجز

(١) ان كون نزول المطر في كل أرض بقدر حاجة أهلها لا يزيد ولا ينقص غير مسلم والمعلوم بالمشاهدة خلافه فكثيرا ما يزيد فيحدث ضررا عظيما. او ينقص فتهلك الزروع وتقل الغلال وتحدث المجاعات وقد علم البشر من سنن الله في ذلك في عصرنا أكثر مما كان يعلم من قبلهم ولا يزالون يجهلون منها اضعاف ما علموا

المقام الثاني

ان يقال : العرش سواء كان هذا الفلك التاسع ، و جسما محيطا بالفلك التاسع ،أو كان فوقه من جهة وجه الارض محيطا به، أو قيل فيه غير ذلك، فيجب أن يعلم ان العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض؟ » وفي الصحيحين ـ واللفظ لمسلم ـ عن عبدالله بن عمر : قال قال رسول الله ﷺ « يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول : أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون؟ ثم يطوي الارضين بشماله ، ثم يقول : انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون؟ » وفي لفظ في الصحيح عن عبدالله بن مقسم انه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي النبي ﷺ قال « يأخذ الله سماوته وأرضه بيده ويقول : انا الملك، ويقبض اصابعه ويبسطها، انا الملك » حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله ﷺ وفي لفظ قال « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول يأخذ الجبار سماواته وأرضه ـ وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ـ ويقول انا الرحمن ، انا الملك، انا السلام، انا المؤمن، انا المهيمن ، انا

العزيز، انا الجبار المتكبر، انا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئا ، انا الذي اعدمها أين الملوك؟ اين الجبارون؟ اين المتكبرون؟» ويتميل رسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله، حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني لأقول اساقط هو برسول الله ﷺ ؟ والحديث مروي في الصحيح والمسانيد وغيرها بألفاظ يصدق بعضها بعضا ، وفي بعض ألفاظه قال: قرأ على المنبر (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية، قال« مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة» وفي لفظ «يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده فيجعلها في كفه ثم يقول بها هكذا كما يقول الصبيان بالكرة، انا الله الواحد» وقال ابن عباس «يقبض عليهما فما يرى طرفاها بيده» وفي لفظ عنه« ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن بيد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم »وهذه الآثار معروفة في كتب الحديث

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل يهودي ، فقال: يا محمد ان الله يجعل السموات على اصبع ، والارضين على اصبع، والجبال والشجر على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، فيهزهن فيقول : أنا الملك، أنا الملك، قال: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر[1] ثم قال (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة) إلى آخر الآية .

ففي هذه الآية والاحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول ما يبين أن السموات والارض وما بينهما بالنسبة إلى عظمة الله تعالى أصغر من أن يكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا حتى يدحوها كما تدحى الكرة[2]

---

(١) قوله تصديقا لقول الحبر قال بعض شراح الصحيحين ان هذه زيادة من الراوي قالها بحسب فهمه ، وهي ليست في كل الروايات وانكروا ان يكون (ص) صدق اليهودي بل قالوا انه اراد الانكار عليه وتلا الآية الدالة على ذلك . وخالفهم آخرون فراجع الاقوال في شرح الحديث من كتاب التوحيد في فتح الباري

(٢) دحا الكرة يدحوها دحرجها

قال عبد العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون الامام ـ نظير مالك ـ في كلامه المشهور الذي ردفيه على الجهمية ومن خلفها[1] قال : فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوته الشياطين في الارض حيران، فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بان قال: لابد إن كان له كذا من أن يكون له كذا ،فعمي عن البين بالخفي، فجحد ما سمى الرب من نفسه فصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يمثل له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا الله أفضل كرامته التي أكرم الله أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونظرته له إياهم (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينضرون — إلى أن قال — وانما جحدوا رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة، لانه قد عرف اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً .

وقال المسلمون : يارسول الله، هل نرى ربنا ؟ فقال رسول الله ﷺ «هل تضارون[2] في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ » قالوا لا ، قال « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » قالوا لا ، قال « فانكم ترون ربكم كذلك » وقال رسول الله ﷺ « لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط ، وينزوي بعضها إلى بعض »

---

(١) أي من جاء بعد الجهمية ممن يقول قولهم (٢) يروى بتشديد الراء وتخفيفها . فالتشديد بمعنى لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر اليه لوضوحه وظهوره . وقال الجوهري : أراد بالمضارة الاجتماع والازدحام عند النظر اليه . وأما التخفيف فهو من الضير وهو لغة في الضر

وقال لثابت بن قيس « قد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » وقال فيما بلغنا عنه « إن الله يضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم »[1] وقال له

رجل من العرب : إن ربنا يضحك ؟ قال « نعم » قال : لن نعدم من رب يضحك خيراً . وفي اشباه هذا مما لم نحصه . وقال تعالى (وهو السميع البصير * واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) وقال (ولتصنع على عيني) وقال (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فوالله مادلهم على عظم ماوصف به نفسه وما تحيط به قبضته الاصغر نظيرها منهم عندهم أن ذلك الذي ألقي في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم. فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه علم ماسواه لاهذا ولا هذا ، لانجحد ماوصف، ولانتكلف معرفة مالم يصف. انتهى

واذا كان كذلك فاذا قدر أن المخلوقات كالكرة فهذا قبضه لها ورميه بها. وانما بين لنا من عظمته وصغر المخلوقات بالنسبة اليه مايعقل نظيره منا

ثم الذي في القرآن والحديث يبين أنه إن شاء قبضها وفعل بها ماذكر كما نفعل ذلك يوم القيامة ، وإن شاء لم يفعل ذلك، فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفي ذلك من الاحاطه بها مالايخفى ، وإن شاء لم يفعل ذلك، وبكل حال فهو مباين لها ليس بمحايث لها .

ومن المعلوم ان الواحد منا .. ولله المثل الاعلى - اذا كان عنده خردلة إن شاء قبضها فأحاطت بها قبضته ، وإن شاء لم يقبضها بل جعلها تحته فهو في الحالتين مباين لها ، وسواء قدر ان العرش هو محيط بالمخلوقات كاحاطة الكرة بما فيها أو قيل

---

١) قال في النهاية: هكذا يروى في بعض الطرق . والمعروف « من إلكم » والإل والازل بالفتح الشدة والضيق كانه أراد من شدة يأسكم وقنوطكم

٣ — عرش

انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذي نحن عليه بالنسبة إلى جوفها وكالقبة بالنسبة الى ماتحتها او غير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه وتعالى فوقه ، والعبد في توجهه إلى الله يقصد العلو دون التحت

وتمام هذا ببيان (المقام الثالث) وهو أن يقول لايخلو إما ان يكون العرش كريا

كالافلاك ويكون محيطا بها ، واما ان يكون فوقها وليس هو كريا، فان كان الاول فمن المعلوم باتفاق من يعلم هذا ان الافلاك مستديرة كرية الشكل وان الجهة العليا هي جهة المحيط وهو المحدب، وأن الجهة السفلى هي المركز[١] وليس للافلاك إلا جهتان العلو والسفل فقط

وأما الجهات الست فهي للحيوان فان له ستة جوانب يؤم جهة فتكون أمامه ويخلف أخرى فتكون خلفه ، وجهة تحاذي يمينه وجهة تحاذي شماله، وجهة تحاذي رأسه ، وجهة تحاذي رجليه. وليس لهذه الجهات الست في نفسها صفة لازمة ، بل هي بحسب النسبة والاضافة، فيكون يمين هذا مايكون يسار هـذا ، ويكون أمام هذا مايكون خلف هذا ، ويكون فوق هذا مايكون تحت هذا . لكن جهة العلو والسفل للافلاك لاتتغير ، فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل، مع ان وجه الارض

---

(١) اي المركز الوسط من الداخل وهو المقعر الذي تكون جوانب المحيط بالنسبة اليه متساوية اذا كان المحيط متساويا كمحيط الفلك عندهم لانه كرة تامة واما الارض فهي كرة غير تامة لان في محيطها تسطيحا وانبطاحا من جانبي قطبيها الشمالي والجنوبي فمركزها أقرب اليهما منه الى سطح الاقاليم الاستوائية وناهيك بما فيها من الجبال، ولكن المركز هو جهة السفل لها من كل جانب والسطح محيطها وهو جهة العلو من كل جانب ، وأما جهة العلو لمن على سطحها كالانسان فهو ما فوق رأسه من السماء اينما كان

التي وضعها الله للانام وأرساها بالجبال هو الذى عليه الناس والبهائم والشجر والنبات والجبال والانهار الجارية .

فأما الناحية الاخرى من الارض فالبحر محيط بها وليس هناك شيء من الآدميين وما يتبعهم . ولو قدر ان هناك أحد لكان على ظهر الارض ولم يكن من في هذه الجهة تحت من في هذه الجهة ، ولا من في هذه تحت من في هذه، كما أن الافلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر، ولا القطب

الشمالي تحت الجنوبي ولا بالعكس ، وإن كان الشمالي هو الظاهر لنافوق الارض وارتفاعه بحسب بعد الناس عن خط الاستواء ، فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلا كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة وهو الذى يسمى عرض البلد . فكما ان جوانب الارض المحيطة بها وجوانب الفلك المستدير ليس بعضها فوق بعض ولا تحته ، فكذلك من يكون على الارض من الحيوان والنبات لا يقال انه تحت أولئك ، وانما هذا خيال يتخيله الانسان ، وهو تحت اضافي ، كما لو كانت نملة تمشي تحت سقف فالسقف فوقها وإن كانت رجلاها تحاذيه ، وكذلك من علق منكوسا فانه تحت السماء ، وإن كانت رجلاه على السماء ، وكذلك قد يتوهم الانسان اذا كان في أحد جانبي الارض او الفلك ان الجانب الآخر تحته (١)

(١) كل ما قاله شيخ الاسلام في الارض فهو مبنى على كونها كرة كما جزم به علماء الهيئة المتقدمون والمتأخرون ومن اطلع على هذا العلم وفهمه من علماء الاسلام الاعلام. وهذه مسألة قطعية لا ظنية ، وصرح بها ابن القيم من علماء الحديث بالتبع لاستاذه المؤلف وللامام ابن حزم واقتناعا بادلتها ويدل عليه قوله تعالى (يكور الليل على النهار) الآية فان التكوير هو اللف على الجسم الكري المستدير كتكوير العمامة على الرأس، وكذا قوله تعالى ﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ فان الدحو فى أصل اللغة دحرجة الكرة وما فى معناها . ولا يعارضه قوله تعالى ﴿ واذا الارض سطحت ﴾ كما توهم الجلال وغيره لان وجه الكرة سطح لها والسطح في اللغة اعم منه فى عرف أهل الهندسة وكذلك الخط

وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول إن الافلاك مستديرة ، واستدارة الافلاك كما إنه قول أهل الهيئة والحساب فهو الذى عليه علماء المسلمين كما ذكره ابو الحسين بن المنادى وأبو محمد بن حزم وابو الفرج بن الجوزى وغيرهم أنه متفق عليه بين علماء المسلمين ، وقد قال تعالى (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) قال ابن عباس في فلكة مثل فلكة المغزل ، والفلك في اللغة هو المستدير (١) ومنه قولهم : تفلك ثدي الجارية اذا استدار . وكل من جعل الافلاك مستديرة يعلم أن المحيط هو العالي على المركز في كل جانب . ومن توهم أن من يكون في الفلك من ناحيته يكون تحته من في

الفلك من الناحية الاخرى في نفس الامر فهو متوهم عندهم .

واذا كان الامر كذلك فاذا قدر ان العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقا فلا يتوجه اليه وإلى ما فوقه الانسان إلا من العلو لا من جهته الباقية أصلا .

ومن توجه إلى الفلك التاسع أو الثامن او غيره من الافلاك من غير جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلاء ، فكيف بالتوجه إلى العرش او إلى مافوقه ، وغاية مايقدر أن يكون كريّ الشكل والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها احاطة تليق بجلاله[1] فان السموات السبع في يده أصغر من الحمصة في يد أحدنا

وأما قول القائل : إذا كان كريا والله من ورائه محيط به بائن عنه، فما فائدة أن العبد يتوجه إلى الله حين دعائه وعبادته فيقصد العلو دون التحت، فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي؟ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً بطلب العلو ، لانلتفت يمنة ولا يسرة. فاخبرونا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها ؟

فيقال له : هذا السؤال انما ورد لتوهم المتوهم ان نصف الفلك يكون تحت الارض وتحت ما على وجه الارض من الآدميين والبهائم ، وهذا غلط عظيم ، فلو كان الفلك تحت الارض من جهة لكان تحتها من كل جهة، فكان يلزم ان يكون الفلك تحت الارض مطلقا ، وهذا قلب للحقائق ، إذ الفلك هو فوق

(١) هذا معناه العام . وأما معناه الخاص بالكواكب فهو مدار الكوكب كما تقدم في حاشية(ص١١٦)وهو مستدير على كل حال سواء كان كما قال المتقدمون من اليونان والعرب أم كان فضاء فما نقله شيخ الاسلام من اتفاق علماء المسلمين على استدارة الافلاك صحيح على كل حال فان الكواكب كلها مستديرة كرية الشكل وافلاكها التى تدور فيها كذلك ، والعالم كله كري الشكل ، وكل جرم من اجرامه يسبح دائراً في فلك له مستدير بنظام حسابي مطرد كما قال تعالى (الشمس والقمر بحسبان)

الارض مطلقا ، واهل الهيئة يقولون : لو أن الارض مخروقة إلى ناحية ارجلنا وألقي في الخرق شيء ثقيل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلي المركز ، حتى لو ألقي من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعاً في المركز[٢] ولو قدر أن انسانين التقيا في المركز بدل الحجر لالتقت رجلاهما ولم يكن احدهما تحت الآخر بل كلاهما فوق المركز وكلاهما تحت الفلك كالمشرق والمغرب ، فانه لو قدر أن رجلا بالمشرق

(١) اما دليل احاطته فقوله عز وجل (والله من ورائهم محيط) واما قوله : احاطة تليق بجلاله فانفي التشبيه باحاطة الاجسام بعضها ببعض ، على قاعدة السلف التى قررها شيخ الاسلام مرواً وهي الايمان بالنصوص من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل

(٢) هذا متفق عليه بين المتقدمين والمتأخرين من علماء الفلك ويعللون به جاذبية الثقل فهي تختلف بقدر بعد المحيط عن المركز وهو يختلف في المنطقة الاستوائية عن منطقتي القطبين كما أشرنا اليه في حاشية (ص١٢٢)

في السماء او الارض ، ورجلا بالمغرب في السماء او الارض لم يكن احدهما تحت الآخر ، وسواء كان رأسه او رجلاه او بطنه او ظهره اوجنبه مما يلي السماء او مما يلي الارض ، واذا كان مطلوب أحدهما مافوق الفلك لم يطلبه الآخر الا من الجهة العليا ، لم يطلبه من جهة رجليه او يمينه او يساره . لوجهين :

(أحدهما) ان مطلوبه من الجهة العليا أقرب اليه من جميع الجهات ، فلو قدر رجل او ملك يصعد الى السماء او إلى مافوق كان صعوده مما يلي رأسه اذا أمكنه ذلك ولا يقول عاقل انه يخرق الارض ثم يصعد من تلك الناحية ، ولا انه يذهب يمينا او شمالا او اماما او خلفا الى حيث امكن من الارض ثم يصعد ، لأن أي مكان ذهب اليه كان بمنزلة مكانه او هو دونه ، وكان الفلك هناك فوقه ، فيكون ذهابه الى الجهات الخمس تطويلا وتعباً من غير فائدة ، ولو ان رجلا أراد أن يخاطب الشمس والقمر فانه لايخاطبه إلا من الجهة العليا ، مع ان الشمس والقمر قد تشرق وقد تغرب فتنحرف عن سمت الرأس ، فكيف بما هو فوق كل شيء دائما لا يأفل

ولا يغيب سبحانه وتعالى ؟ وكما ان الحركة كحركة الحجر تطلب مركزها باقصر طريق وهو الخط المستقيم، فالطلب الارادي الذي يقوم بقلوب العباد كيف يعدل عن الصراط المستقيم القريب ؟ ويعدل الى طريق منحرف طويل ؟ والله فطر عباده على الصحة والاستقامة إلا من اجتالته الشياطين فأخرجته عن فطرته التي فطر عليها

(الوجه الثاني) انه إذا قصد السفل بلا علو كان منتهى قصده المركز، وإن قصده أمامه أو وراءه أو يمينه أو يساره من غير قصد العلو كان منتهى قصده أجزاء الهواء فلا بد له من قصد العلو ضرورة، سواء قصد مع ذلك هذه الجهات أو لم يقصدها، ولو فرض أنه قال : أقصده من اليمين مع العلو ، أو من السفل مع العلو كان هذا بمنزلة من يقول ، أريد أن أحج من الغرب فاذهب إلى خراسان (١) ثم أذهب إلى مكة، بل بمنزلة من يقول أصعد الى الافلاك فانزل في الارض لاصعد الى الفلك من الناحية الاخرى ، فهذا وان كان ممكنا في المقدار ، لكنه يستحيل من جهة امتناع أرادة القاصد له ، وهو مخالف للفطرة ، فان القاصد يطلب مقصوده بأقرب طريق لا سيما اذا كان مقصوده معبوده الذي يعبده ويتوكل عليه . وإذا توجه اليه على غير الصراط المستقيم كان مسيره منكوساً معكوساً .

وأيضاً فان هذا الجمع في سيره وقصده بين النفي والاثبات بين أن يتقرب الى المقصود ويتباعد عنه ، ويريده وينفر منه ، فانه اذا توجه اليه من الوجه الذي هو عنه أبعد وأقصى ، وعدل عن الوجه الاقرب الادنى، كان جامعاً بين قصدين متناقضين ، فلا يكون قصده له تاماً ، اذ القصد التام ينفي نقيضه وضده ، وهذا معلوم بالفطرة ، فان الشخص اذا كان يحب النبي ﷺ محبة تامة ويقصده أو يحب غيره مما يحب ـ سواء كانت محبة محمودة أو مذمومة ـ ومتى كانت المحبة تامة ، وطلب المحبوب طلبه من أقرب طريق يصل اليه (٢) بخلاف ما اذا كانت المحبة مترددة مثل أن يحب ما يكره محبته في الدين فتبقى شهوته تدعوه الى قصده وعقله

(١) اي من الشام ـ حيث كان المؤلف ـ الى خراسان ، ومعلوم أن مكة في الجهة الجنوبية للشام وخراسان في الجهة الشرقية فلذهاب من الشام غربا الى خراسان في الشرق ثم الى مكة ممكن لان الارض كرة ولكن هذا عمل لا يعمله من لا يريد بطواف أكثر محيط الارض الا مكة للحج الا أن يكون مجنونا . وانما يفعله العاقل اذا كانت الرحلة الى هذه الاقطار مقصودة لذاتها

(٢) قوله طلبه من أقرب طريق الخ جواب اذا ومتى اي اذا كان يجب ماذكر ومتى كانت محبته له تامة وطلبه يقتضاها طلبه من اقرب طريق، وفيه ماترى من التعقيد

ينهاه عن ذلك فتراه يقصده من بعيد ، كما يقول العامة : رجل الى قدام ، ورجل الى خلف(١) وكذلك اذا كان في دينه نقص وعقله يأمره بقصد المسجد أو الجهاد أو غير ذلك من المقصودات التي تحب في الدين ، وتكرهها النفس ، فانه يبقى قاصداً لذلك من طريق بعيد : متباطئا في السير ، وهذا كله معلوم بالفطرة

وكذلك اذا لم يكن القاصد يريد الذهاب بنفسه ، بل يريد خطاب المقصود ودعاءه ونحو ذلك. فانه يخاطبه ن أقرب جهة يسمع دعاءه منها وينال به مقصوده اذا كان القصد تاماً ، ولو كان رجلا في مكان عال ، وآخر يناديه لتوجه اليه وناداه ولوحط رأسه في بئر وناداه بحيث يسمع صوته لكان هذا ممكنا ، لكن ليس في الفطرة ان يفعل ذلك من يكون قصده اسماعه من غير مصلحة راجحة ولا يفعل نحو ذلك الا عند ضعف القصد ونحوه .

وحديث الادلاء الذي روي من حديث أبي هريرة وأبي ذر قد رواه الترمذي وغيره من حديث الحسن عن أبي هريرة وهو منقطع ، فان الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، ولكن يقويه حديث أبي ذر المرفوع ، فان كان ثابتاً فمعناه موافق لهذا(٢) فان قوله « لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله» انما هو تقدير مفروض: لو وقع الادلاء لوقع عليه، لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على الله شيئا لانه عال بالذات ، واذا هبط شيء الى جهة الارض وقف في المركز ولم يصعد إلى

(١) مأخوذ من المثل العربي : مالي اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى

(٢) ان شيخ الاسلام يعلم ان الحديث غير ثابت وتقوية الضعيف للضعيف لا يعتد بها في ثبوت حكم شرعي فعدم الاعتداد بها في صفات الله أولى ولا سيما هذه المتشابهات . ولكنه يجيب عن الاشكال فيه بفرض وقوعه وعبر عنه بقوله ان كان ثابتا لان الاصل في شرط « ان » عدم الوقوع لامتناعه أو لتنزيله منزلة الممتنع كما حققناه في تفسير ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ من جزء التفسير الاول

الجهة الاخرى لكن بتقدير فرض الادلاء . لايكون ماذكر من الجزاء .

فهكذا ما ذكره السائل إذا قدر أن العبد يقصده من تلك الجهة كان هو سبحانه يسمع كلامه ، وان كان متوجهاً اليه بقلبه ، لكن هذا ما يمتنع من الفطرة لان قصده للشيء التام ينافي قصد ضده . فكما أن الجهة العليا بالذات تنافي الجهة السفلى ، فكذلك قصد الاعلى بالذات ينافي قصده من أسفل ، فكما أن ما يهبط إلى جوف الارض يمتنع صعوده إلى تلك الناحية لانها عالية فترد الهابط بعلوها ،

كما أن الجهة العليا من عندنا ترد ما يصعد اليها من الثقيل فلا يصعد الثقيل الا برافع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط ، فكذلك مايهبط من أعلى الارض إلى أسفلها وهو المركز ، لا يصعد من هناك الى ذلك الوجه الا برافع يرفعه يدافع به مافي قوته من الهبوط إلى المركز ، فان قدر أن الرافع أقوى كان صاعداً به الى الفلك من تلك الناحية ، وصعد به الى الله .

وانما يسمى هبوطا باعتبار ما في اذهان المخاطبين أن مايحاذي أرجلهم يكون هابطا ويسمى هبوطا مع تسمية إهباطه ادلاء ، وهو انما يكون ادلاء حقيقياً الى المركز ، ومن هناك انما يكون مدخا للحبل والدلو لا ادلاء له(١)

لكن الجزاء والشرط مقدران لا محققان ، فانه قال : لو أدلى لهبط ، اي لو فرض ان هناك هبوطا وهو يكون ادلاء وهبوطا إذا قدر ان السموات تحت الارض وهذا التقدير منتف ولكن فائدته بيان الاحاطة والعلو من كل جانب

وهذا المفروض ممتنع في حقنا لا نقدر عليه ، فلا يتصور أن يهبط على الله شيء

---

(١) كذا في الاصل والمدح لا يظهر معناه هنا والذي يقتضيه المقام أن يقال إن مايمد أو يدفع من مركز الكرة الى أي جانب من المحيط يكون مده أو دفعه رفعا واعلاء له لا ادلاء ، لأن المركز هو الاسفل والمحيط هو الاعلى كما تقدم

لكن الله قادر على أن يخرق من هنا إلى هناك بحبل ، ولكن لا يكون في حقه ادلاء فلا يكون في حقه هبوطا عليه، كما لو خرق بحبل من القطب او من مشرق الشمس الى مغربها ، وقدرنا ان الحبل مر في وسط الارض فان الله قادر على ذلك كله ، ولا فرق بالنسبة اليه على هذا التقدير بين أن يخرق من جانب اليمين منا الى جانب اليسار ، او من جهة امامنا الى جهة خلفنا ، و من جهة رءوسنا إلى جهة أرجلنا اذا مر الحبل بالارض . فعلى كل تقدير قد خرق بالحبل من جانب المحيط الى جانبه الآخر مع خرق المركز وتقدير احاطة قبضته بالسموات والارض . فالحبل الذي قدر انه خرق به العالم وصل اليه ، ولا يسمى شيء من ذلك بالنسبة اليه لا ادلاء ولا هبوطا

وأما بالنسبة الينا فان ماتحت أرجلنا تحت لنا ، وما فوق رءوسنا فوق لنا ، وما ندليه من ناحية رءوسنا الى ناحية أرجلنا نتخيل انه هابط(١) فاذا قدر ان أحدنا أدلى بحبل كان هابطا على ماهناك، لكن هذا تقدير ممتنع في حقنا

والمقصود به بيان احاطة الخالق تعالى كما بين انه يقبض السموات ويطوي الارض ونحو ذلك مما فيه بيان احاطته بالمخلوقات، ولهذا قرأ في تمام هذا الحديث (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

وهذا كله كلام على تقدير صحته فان الترمذي لما رواه قال: وفسره بعض أهل العلم بانه هبط على علم الله

وبعض الحلولية والاتحادية يظن ان في هذا الحديث مايدل على قولهم الباطل وهو انه حلّ بذاته في كل مكان، او ان وجوده وجود الامكنة ونحو ذلك

والتحقيق ان الحديث لايدل على شيء من ذلك ان كان ثابتاً، فان قوله «لو

(١) قوله نتخيل انه هابط — انما سمي هذا تخيلا لأن الجهات الست المذكورة أمور نسبية لا حقيقة ثابتة في نفسها .

دلي بحبل لهبط» يدل على انه(١) ليس في المدلي ولا في الحبل ولا في الدلو ولا في غير ذلك . وانما يقتضي انه من تلك الناحية ،

وكذلك تأويله بالعلم تأويل ظاهر الفساد من جنس تأويلات الجهمية . بل تقدير ثبوته يكون دالا على الاحاطة ، والاحاطة قد علم ان الله قادر عليها ، وعلم انها تكون يوم القيامة بالكتاب والسنة(٢) فليس في اثباتها في الجملة مايخالف العقل ولا الشرع، لكن لا نتكلم الا بما نعلم ، وما لم نعلمه أمسكنا عنه ، وما كان مقدمة دليله مشكوكا فيها عند بعض الناس ، كان حقه أن يشك فيه حتى يتبين له الحق ، والا فليسكت عما لا يعلم

واذا تبين هذا ، فكذلك قصده بقصده الى تلك الناحية ، ولو فرض انا فعلناه لكنا قاصدين له على هذا التقدير لكن قصدنا له بالقصد إلى تلك الجهة ممتنع في حقنا لان القصد التام الجازم يوجب طلب المقصود بحسب الامكان

ولهذا قد بينا في غير هذا الموضع لما تكلمنا على تنازع الناس في النية المجردة عن الفعل هل يعاقب عليها ام لا يعاقب؟ بينا ان الارادة الجازمة توجب ان يفعل المريد مايقدر عليه من المراد. ومتى لم يفعل مقدوره لم تكن ارادته جازمة بل يكون هما «ومن هم بسيئة فلم يفعلها لم تكتب عليه فان تركها لله كتب له حسنة» ولهذا وقع الفرق بين هم يوسف عليه السلام وهم امرأة العزيز كما قال الامام احمد: «الهم همان : هم خطرات ، وهم إصرار ، فيوسف عليه السلام هم هما تركه لله

١) الضمير راجع الى الله تعالى يعني انه لو كان تعالى فى هذه الاشياء أو لو كان عينها لما صح التعبير الذي بني على ان هنالك حبلا و دلوا وانسانا مدليا للدلو المعلق بالحبل وان غاية فعله وصول الحبل الى الله الذي هو غير ما ذكر

٢) قوله بالكتاب والسنة متعلق بعلم

فاثيب عليه، وتلك همت هم إصرار ففعلت ما قدرت عليه من تحصيل مرادها وان لم يحصل لها المطلوب »

والذين قالوا يعاقب بالارادة احتجوا بقوله ﷺ «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قالوا يارسول الله هـذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « إنه أراد قتل صاحبه » وفي لفظ « إنه كان حريصا على قتل صاحبه » فهذا أراد ارادة جازمة وفعل مايقدر عليه وان لم يدرك مطلوبه ، فهو بمنزلة امرأة العزيز، فمتى كان القصد جازما لزم ان يفعل القاصد ما يقدر عليه في حصول المقصود ، وإذا كان قادراً على حصول مقصوده بطريق مستقيم امتنع مع القصـد التام ان يحصله بطريق معكوس بعيد

ولهذا امتنع في فطر العباد عند ضرورتهم ودعائهم لله تعالى وتمام قصدهم له ان يتوجهوا اليه إلا توجها مستقيما، فيتوجهون إلى العلو دون سائر الجهات، لانه الصراط المستقيم القريب، وما سواه فيه من البعد والانحراف والطول مافيه، فمع القصد التام الذي هو حال الداعي العابد والسائر المضطر يمتنع ان يتوجه اليه الا إلى العلو، ويمتنع ان يتوجه اليه إلى جهة أخرى، كما يمتنع ان يدلي بحبل يهبط عليه، فهذا هذا والله أعلم.

وأما من جهة الشريعة فان الرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها، لا بتبديل الفطرة وتغييرها. قال ﷺ في الحديث المتفق عليه « كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء » أي مجتمعة الخلق سوية الاطراف ليس فيها نقص كجدع وغيره «هل ترون فيها من نقص ؟ هل تحسون فيها من جدعاء »

وقال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولـكن أكثر الناس لا يعلمون) . فجاءت الشريعة بالعبادة والدعاء بمايوافق الفطرة، بخلاف ماعليه أهل الضلال من المشركين والصابئين المتفلسفة وغيرهم فانهم غيروا الفطرة في العلم والارادة جميعا ، وخالفوا

العقل والنقل، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع

وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه ان النبي ﷺ قال «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قِبَل وجهه فان الله قبل وجهه، ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكاً، ولكن ليبصق عن يساره أو تحت رجله» وفي رواية أنه اذن ان يبصق في ثوبه،

وفي حديث ابي رزين المشهور الذي رواه عن النبي ﷺ لما أخبر النبي ﷺ « انه ما من احد إلا سيخلو به ربه » فقال له ابو رزين : كيف يسمعنا يارسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال «سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر آية من آيات الله كلكم يراه مخليا به، فالله أكبر» ومن المعلوم ان من توجه إلى القمر وخاطبه إذا قدر ان يخاطبه لايتوجه اليه إلا بوجهه مع كونه فوقه. ومن الممتنع في الفطرة ان يستدبره ويخاطبه مع قصده التام له وان كان ذلك ممكنا، وانما يفعل ذلك من ليس مقصوده مخاطبته كما يفعل من ليس مقصوده التوجه إلى شخص بخطاب فيعرض عنه بوجهه أو يخاطب غيره ليسمع هو الخطاب، فاما مع زوال المانع فانما يتوجه إليه، فكذلك العبد إذا قام إلى الصلاة فانه يستقبل ربه وهو فوقه فيدعوه من تلقائه لا من يمينه ولا من شماله، ويدعوه من العلو لا من السفل، كما إذا قدر انه يخاطب القمر

وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيحين أنه قال «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم في الصلاة أو لاترجع اليهم أبصارهم» واتفق العلماء على ان رفع المصلي بصره إلى السماء منهي عنه، وروى احمد عن محمد بن سيرين أن النبي ﷺ كان يرفع بصره في الصلاة إلى السماء حتى أنزل الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) فكان بصره لايجاوز موضع سجوده

فهذا مما جاءت به الشريعة تكميلا للفطرة، لان الداعي السائل الذي يؤمر بالخشوع ـ وهو الذل والسكون ـ لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعوه ويسأله، بل يناسب حاله الاطراق وغض البصر أمامه. وليس نهي المصلي عن رفع بصره في الصلاة رداً على أهل الاثبات الذين يقولون انه على العرش كما يظنه

بعض جهال الجهمية، فان الجهمية عندهم لا فرق بين العرش وقعر البحر فالجميع سواء، ولو كان كذلك لم ينه عن رفع البصر إلى جهة ويؤمر برده الى أخرى لان هذه وهذه عند الجهمية سواء

وأيضاً فلو كان الامر كذلك لكان النهي عن رفع البصر شاملا لجميع أحوال العبد. وقد قال تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء) فليس العبد بمنهي عن رفع بصره مطلقاً ، وانما نهي في الوقت الذي يؤمر فيه بالخشوع لان خفض البصر من تمام الخشوع ، كما قال تعالى (خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث) وقال تعالى (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي)

وأيضاً فلو كان النهي عن رفع البصر إلى السماء وليس في السماء إله لكان لا فرق بين رفعه إلى السماء ورده إلى جميع الجهات

ولو كان مقصوده أن ينهى الناس ان يعتقدوا ان الله في السماء أو يقصدوا بقلوبهم التوجه إلى العلو لبين لهم ذلك كما بين لهم سائر الاحكام، فكيف وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في قول سلف الامة حرف واحد يذكر فيه انه ليس الله فوق العرش ، أوانه ليس فوق السماء ، أو انه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا محايث له ، ولا مباين له ، او انه لا يقصد العبد اذا دعاه العلو دون سائر الجهات؟؟ بل جميع مايقوله الجهمية من النفي ويزعمون انه الحق ليس معهم به حرف من كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الامة وأئمتها، بل الكتاب والسنة وأقوال السلف والائمة مملوءة بما يدل على نقض قولهم ، وهم يقولون ان ظاهر ذلك كفر فنؤول او نفوض .

فعلى قولهم ليس في الكتاب والسنة وأقوال السلف والائمة في هذا الباب إلا ماظاهره كفر ،وليس فيها من الايمان في هذ الباب شيء .

والسلب الذي يزعمون انه الحق الذي يجب على المؤمن أو خواص المؤمنين اعتقاده عندهم، لم ينطق به رسول ولا نبي ولا أحد من ورثة الانبياء والمرسلين ، والذي نطقت به الانبياء وورثتهم ليس عندهم هو الحق بل هو مخالف للحق في الظاهر، بل حذاقهم يعلمون [1] انه مخالف للحق في الظاهر والباطن، لكن هؤلاء

منهم من يزعم ان الانبياء لم يمكنهم أن يخاطبوا الناس إلا بخلاف الحق الباطن فلبسوا أو كذبوا لمصلحة العامة

فيقال لهم: فهلا نطقوا بالباطن لخواصهم الاذكياء الفضلاء ان كان ماتزعمونه حقاً ؟ وقد علم أن خواص الرسل هم على الاثبات أيضاً وانه لم ينطق بالنفي أحد منهم إلا ان يكذب على أحدهم كما قال عن عمر: ان النبي ﷺ وأبا بكر كانا يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما. وهذا مختلق باتفاق أهل العلم، وكذلك ماتقل عن علي وأهل بيته ان عندهم علما باطنا يخالف عن الظاهر الذي عند جمهور الامة

وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن علي رضي الله تعالى عنه انه لم يكن عندهم عن النبي ﷺ شيء ليس عند الناس، ولا كتاب مكتوب إلا ما كان في الصحيفة، وفيها الديات وفكاك الاسير، وان لا يقتل مسلم بكافر (٢)

ثم انه من المعلوم ان من جعله الله هاديا مبلغاً بلسان عربي مبين اذا كان

---

(١) لعل أصل هذه الكلمة يعتقدون لانه ليس للجهمية علم بذلك بل ظن ولذا نه نظرياتهم الباطلة التي بين الشيخ بطلانها في عدة مواضع من كتبه

(٢) وتحريم المدينة كمكة. وهذه الصحيفة كتب بها هذه المسائل التي سمعها من النبي ﷺ وكانت معلقة في سيفه وقد ذكر البخاري حديثه في عدة من كتبه أولها كتاب العلم

لايتكلم أبداً قط إلا بما يخالف الحق الباطن الحقيقي فهو إلى الضلال والتدليس أقرب منه إلى الهدى والبيان، وبسط الرد عليهم له موضع غير هذا

والمقصود أن ماجاء عن النبي ﷺ في هذا الباب وغيره كله حق يصدق بعضه بعضاً وهو موافق لفطرة الخلائق وماجعل فيهم من العقول الصريحة، وليس العقل الصحيح ولا الفطرة المستقيمة بمعارضة النقل الثابت عن رسول الله ﷺ، فانما يظن تعارضهما من صدق بباطل من المنقول وفهم منه مالم يدل عليه، أو اذا اعتقد شيئاً ظنه من العقليات وهو من الجهليات، أومن المكشوفات وهو من المكسوفات، اذا كان ذلك معارضا لمنقول صحيح، وإلا عارض بالعقل الصريح، او الكشف

الصحيح : مايظنه منقولا عن النبي ﷺ ويكون كذبا عليه، او مايظنه لفظا دالا على معنى ولا يكون دالا عليه، كما ذكروه في قوله ﷺ « الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه » حيث ظنوا ان هذا وأمثاله محتاج إلى التأويل، وهذا غلط منهم لو كان هذا اللفظ ثابتاً عن النبي ﷺ فان هذا اللفظ صريح في ان الحجر الاسود ليس هو من صفات الله إذ قال هو «يمين الله في الارض» فتقييده بالارض يدل على انه ليس هو يده على الاطلاق فلا يكون اليد الحقيقية . وقوله « فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه » صريح في ان مصافحه ومقبله ليس مصافحا لله ولا مقبلا ليمينه لان المشبه ليس هو المشبه به، وقد أتى بقوله « فكأنما » وهي صريحة في التشبيه . واذا كان اللفظ صريحا في انه جعله بمنزلة اليمين لا انه نفس اليمين ، كان من اعتقد أن ظاهره انه حقيقة اليمين ، قائلا للكذب المبين .

فهذا كله بتقدير أن يكون العرش كري الشكل سواء كان هو الفلك التاسع أو غير الفلك التاسع . وقد تبين أن سطحه هو سقف المخلوقات وهو العالي عليها من جميع الجوانب وانه لايجوز ان يكون شيء مما في السماء والارض فوقه، وان القاصد إلى ما فوق العرش بهذا التقدير انما يقصد إلى العلو لايجوز في الفطرة ولا في الشريعة مع تمام قصده ان يقصد جهة أخرى من جهاته الست ، بل هو ايضا يستقبله بوجهه مع كونه أعلى منه كما ضربه النبي ﷺ من المثل بالقمر ولله المثل الأعلى وبين ان مثل هذا إذا جاز في القمر وهو آية من آيات الله فالخالق اعلى وأعظم

*
* *

وأما إذا قدر أن العرش ليس كري الشكل بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجه، وانه فوق الافلاك الكرية كما ان وجه الارض الموضوع للانام فوق نصف الارض الكري ، أو غير ذلك من المقادير التي يقدر فيها ان العرش فوق ما سواه وليس كري الشكل، فعلى كل تقدير لايتوجه إلى الله إلا الى العلو لا الى غير ذلك من الجهات فقد ظهر انه على كل تقدير لايجوز أن يكون التوجه إلى الله إلا إلى العلو مع كونه على عرشه مباينا لخلقه ، وسواء قدر مع ذلك انه محيط بالمخلوقات كما يحيط بها إذا كانت في قبضته أو قدر مع ذلك انه فوقها من غير أن يقبضها ويحيط بها

فهو على التقديرين يكون فوقها مباينا لها .

فقد تبين انه على هذا التقدير في الخالق وهذا التقدير في العرش لا يلزم شيء من المحذور والتناقض ، وهذا يزيل كل شبهة . وانما تنشأ الشبهة من اعتقادين فاسدين (أحدهما) أن يظن ان العرش اذا كان كريا والله فوقه وجب أن يكون الله كريا ، ثم يعتقد انه إذا كان كريا فيصح التوجه إلى ماهو كري كالفلك التاسع من جميع الجهات

وكل من هذين الاعتقادين خطأ وضلال فان الله تعالى مع كونه فوق العرش ومع القول بأن العرش كري سواء كان هو التاسع او غيره لا يجوز ان يظن انه مشابه للافلاك في أشكالها ، كما لا يجوز ان يظن انه مشابه لها في اقدارها ، ولا في صفاتها (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً)

بل قد تبين انه اعظم وأكبر من ان تكون المخلوقات عنده بمنزلة داخل الفلك في الفلك وانها اصغر عنده من الحمصة والفلفلة ونحو ذلك في يد احدنا ، فاذا كانت الحمصة او الفلفلة بل الدرهم والدينار ، او الكرة التي يلعب بها الصبيان ، ونحو ذلك في يد الانسان او تحته او نحو ذلك ، هل يتصور عاقل إذا استشعر علو الانسان على ذلك وإحاطته ، هل يكون الانسان كالفلك ؟ فالله ـ وله المثل الأعلى ـ اعظم من ان يظن ذلك به ، وانما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)

وكذلك اعتقادهم الثاني وهو ان ما كان فلكا فانه يصح التوجه إليه من الجهات الست خطأ باتفاق اهل العقل الذين يعلمون الهيئة وأهل العقل الذين يعلمون ان القصد الجازم يوجب فعل المقصود بحسب الامكان

فقد تبين أن كل واحدة من المقدمتين خطأ في العقل والشرع ، وانه لا يجوز أن تتوجه القلوب اليه إلا إلى العلو لا إلى غيره من الجهات على كل تقدير يفرض من التقديرات ، سواء كان العرش هو الفلك التاسع أو غيره ، وسواء كان محيطا بالفلك كري الشكل أو كان فوقه من غير أن يكون كريا ، وسواء كان الخالق سبحانه محيطا بالمخلوقات كما يحيط بها في قبضته أو كان فوقها من جهة العلو منا التي تلي رءوسنا دون الجهة الاخرى ،

فعلى أي تقدير فرض به كان كل من مقدمتي السؤال باطلة وكان الله تعالى

إذا دعوناه إنما ندعوه بقصد العلو دون غيره كما فطرنا على ذلك ، وبهذا يظهر الجواب عن السؤال من وجوه متعددة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

[يقول محمد رشيد آل رضا صاحب منار الاسلام]

رحم الله شيخ الاسلام ، وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، فوالله انه ما وصل الينا من علم أحد منهم ماوصل الينا من علمه في بيان حقيقة هذا الدين وحقية عقائده، وموافقة العقل السليم وعلومه للنقل الصحيح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) بل لا نعرف احدا منهم اوتي مثل ما اوتي من الجمع بين علوم النقل وعلوم العقل بانواعها مع الاستدلال والتحقيق ، دون المحاكاة والتقليد ،وغرضه من هذا الكتاب او الفتوى تفنيد مازعمه المتاولون للعرش بانه الفلك التاسع ، من ان ذلك يعارض ماثبت في الكتاب والسنة واقوال ائمة الامة من ان الله تعالى على عرشه فوق سماواته ، ومن أن الفطرة مؤيدة للشريعة في أن جهة العلو قبلة الدعاء، فهو يثبت هذه الحقيقة على كل احتمال يمكن ان يكون عليه العرش ككونه كريا أو قبة أو غير ذلك، ولكنه لم يتكلم في حقيقة شكل العرش باكثر مماورد في كلام الله تعالي وكلام رسوله (ص) لانه من عالم الغيب الذي يجب الايمان بما ورد فيه من النصوص بغير زيادة ولا نقصان، ولا تاويل ولا تعطيل، ولا تشبيه لله في علوه واستوائه عليه ولا تمثيل . (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)